

الاتفاق على ثوابت الأمة بحجـة مواكبة العصر

الكاتب : أحمد ولد الحسن ولد إدريسي

التاريخ : 27 مايو 2015 م

المشاهدات : 4359



تتعرض الأمة الإسلاميةاليوم لحملة جائرة وشرسة من من يسمون أنفس بـ"دعاة التجديد وغربلة التراث" أوـ"التنويريين" أوـ"الإسلاميين الليبراليين" تمثل في قلب المعاني وتزوير الحقائق مصورة الخير شرًّا، والشر خيراً والمعرف منكرًا، والمنكر معروفاً ، بإشاعة جملة من المصطلحات التي يراد لها أن تنتشر بين الناس فتألف مثل "التسامح الديني - التعايش

الحضارى - تخفيف التوتر - ضبط النفس - الانكفاء الدينى - الحرية المطلقة... تجديد وتنقىح التراث ...إلخ

هذا مع تخويف الناس من الشعائر والأخلاق التي يميلها عليهم دينهم وأوجبها ربهم بالإضافة لحظر مصطلحات شرعية وألفاظ قرآنية، فبمجرد أن تستعمل في خطاب الداعي كلمات مثل: "الكافار - الجهاد - الولاء والبراء - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" توجه إليك السهام بأن في فهمك تخلفاً وأنك من المحرضين على العنف وممن ينشرون الكراهية بين الأمم ومن خلال حرب المصطلحات هذه يسمون جهاد الدفع إرهاباً والصدقات تمويلاً للإرهاب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطراً وتشددأ في حين أن المنظمات التنصيرية وما تقوم به في البلاد الإسلامية من أعمال يصفونها بالإنسانية ولا يعتبر تمويلاً للإرهاب بل لهم الحرية في ما يقومون به وفي المقابل نجد التضييق على المنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية وإرهابها بتهمة الإرهاب، وتخويف المحسنين من المسلمين حتى يكفوا عن بذل أموالهم لنفع إخوانهم ..

ازدواجية في المعايير لا تجد لها تفسيراً لها ومن صور مطالبة هؤلاء بتغيير ثوابت الأمة التي لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً

- المطالبة برفض تطبيق الحدود التي فيها رجم أو قتل أو قطع عضو إلا بعد الإصرار والمعاودة والتكرار، ويأتون بشيءٍ من هنا وهناك.

- إباحة الربا في البنوك بحجـة الحفاظ على اقتصاد البلاد، وأن الربا المحرم عندـهم هو الربح المركب.

- المطالبة بتحرير المرأة ومحاكـاة المرأة الغربية في عاداتها، وإلى الثورة على الحجاب الشرعي

- المطالبة بإلغـاء أحكـام أهل الذمة بحجـة أنها لا تناسب العصر

إن مزاعم تجديد النص وغربلة التراث التي يرفع هؤلاء "التنويريون" لواءـها كشفـت الحقيقة جـليـة وهي أن التجـديد لديـهم يعني تطوير الدين على طريـقة عـصرـنـته وتغـيرـقـيمـه ومبـادـئـه فالتجـديد عندـهم يعني:

- هـدم العـلوم المـعيـاريـة: أي عـلوم التـفسـير المـأـثـور وأـصـولـه، وعلم أـصـولـالـفـقـهـ، وعلم مـصـطلـحـالـحـدـيـثـ

- رـفـضـ الأـحـادـيـثـ الصـحـيـحةـ جـزـئـياـ أو كـلـياـ بـحـجـةـ ضـرـورـةـ مـلـاءـمـتـهاـ لـعـقـولـهـمـ الـقاـصـرـةـ وـلـمـصـلـحـةـ الـأـمـةـ، وـظـرـوفـ الـعـصـرـ الـحـاضـرـ

- رـفـضـ السـنـةـ غـيرـ التـشـريـعـيـةـ أيـ: فـيـمـاـ يـخـصـ شـؤـونـ الـحـكـمـ وـالـسـيـاسـةـ وـأـمـرـ الـحـيـاةـ وـالـمـجـتمـعـ عـمـومـاـ.

- الـانـعـاقـ مـنـ إـسـارـ الشـرـيعـةـ إـلـىـ بـحـوـجـةـ الـقـوـانـينـ الـوضـعـيـةـ، الـتـيـ تـحـقـقـ الـحـرـيـةـ وـالـتـقـدـمـ، وـلـذـلـكـ هـاجـمـواـ الـفـقـهـ وـالـفـقـهـاءـ بـلـاـ هـوـادـةـ.

- الـاجـتـهـادـ وـالـتـجـدـيدـ عـنـهـمـ يـعـنيـ: تـحـقـيقـ الـمـصـلـحـةـ وـرـوحـ الـعـصـرـ

وـمـاـ سـبـقـ يـتـبـيـنـ خـطـرـ هـذـاـ الـفـكـرـ الإـنـهـازـامـيـ الـمـصـحـوبـ بـالـجـهـلـ بـالـدـينـ وـبـالـهـوـىـ وـالـشـهـوـةـ وـالـإـلـتـفـافـ عـلـىـ الـثـوابـ بـحـجـةـ مـسـاـيـرـ الـوـاقـعـ وـأـنـ لـهـ آـثـارـ الـخـطـيرـةـ عـلـىـ الـدـينـ وـالـدـنـيـاـ مـنـ ذـالـكـ:

* فقدان الهوية وذوبان الشخصية الإسلامية، فتجد صاحب هذا الفكر يعيش في عنت وشقاء وتعasse بخلاف المسلم لشرع الله عز وجل الرافض لما سواه المنجدب إلى الآخرة فلا تجده إلا سعيداً قانعاً مطمئناً باحثاً عن ما يرضي ربه فيفعله، وما يخطه فيتركه غير مبالٍ برضى الناس أو سخطهم.

* أن التنويري المطالب بمواكبة العصر ومسايرة الواقع ولو خالف شرع الله عز وجل يتحول بمضيِّ الوقت واستمراره

مواكبة العصر ولو خالفت الشرع إلى أن يألف المخالفة ويرضى بها ويختفي من القلب إنكارها، وما وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. كما أن هؤلاء لا تقف بهم الحال عند حد معين من المواكبة والمسايرة والتنازل والتسليم للواقع، بل إن الواحد منهم ينزل في مسايرته خطوة خطوة؛ وكل مخالفة يساير فيها الغرب تقوده إلى أخرى.. وهكذا حتى يظلم القلب ويصيبه الران – أعادنا الله من ذلك؛ ذلك أن من عقوبة المعصية بعدها، ومن ثواب الحسنة حسنة بعدها كمانكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله تعالى : "وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى، قال – تعالى – : (ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعِّظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبْيَنًا * وَإِذَا لَاتَّيْنَاهُمْ مِّنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) وقال – تعالى – : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهَيْنَاهُمْ سَبِيلًا) وقال – تعالى – : (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضْلَلَ أَعْمَالَهُمْ * سَهِيْدِهِمْ وَيُصْلَحُ بَالَّهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ) وقال – تعالى – : (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الظِّنْ أَسَاءُوا السَّوْءَ) وقال – تعالى – : (..كِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَيَ رَضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ) وقال – تعالى – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُوْتُكُمْ كِفَّارِنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ) وقال – تعالى – : (وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) " (الفتاوى، 14/245)

وما أجمل ما قاله سيد قطب رحمة الله في هذا المعنى: "ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسيراً لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء" الظلال

* أثره على العمل للدين:

فالعامل للدين حينما يركب هذه الموجة بدعاوى ضرورة التجديد ومسايرة الواقع يفقد مصداقيته عند نفسه وعند الناس، وإن لم يتدارك نفسه فقد ييأس ويحسن ويتنه في أودية التفريط ؛ إذ كيف يساير الواقع من هو مطالب بتغيير الواقع وتسييره؟! وكلما كثر المسايرون كثريائسون والمتساقطون؛ وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف العمل للدين بل قد تؤدي بالمساير للواقع أحياناً إلى السخرية من الناصحين له يقول إبراهيم السكران واصفاً هذه الحالة : "الحقيقة أن الإنسان منذ أن يتغير في أودية التفريط تناصره لسعات التأنيب الداخلية .. ومن أشد ما يؤذيه لحظات الإخلاص الهدامة حين يستعرض شريط التناقض بين المطلوب والواقع .. النفس البشرية عادة تندفع باتجاه الإنسجام الداخلي والتخلص من التناقضات فاماًن يعدل الإنسان سلوكه لينسجم مع قناعته وهذا هو سلم الصلاح وإيمان يعدل من قناعته لتنسجم مع سلوكه وهذه منحدرات الضلال "

إن الدعوة لمسايرة الواقع وعادات الغرب وتقاليده ومراعاة رضا الناس وسخطهم بحجج المصلحة فتنـة لا يستهان بها وقد سقط فيها كثير من الناس وضعفوا عن مقاومتها، والموفق من ثبته الله – عز وجل – كما قال – تعالى – : (يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُوْلِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)

يقول الإمام ابن القيم – رحمة الله تعالى – عن هذه الآية: "تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم".

وإذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد قال له ربـه – تبارك وتعالـيـ: (وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّاكَ لَقْدِ كِدَتْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً فَلِيلًا)، فسواء من الناس أحوج إلى التثبت من ربـه – تعالى –، وفي هذا تأكيد على أهمية الدعاء وسؤال من بيده التثبت وال توفيق وهو الله – سبحانه وتعالـيـ فالقابض على دينه اليوم المستعصي على الرضوخ لهذا الفكر في جهاد مرير مع نفسه ومع الناس كالقابض على الجمر، ولعل هذا الزمان هو تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الترمذـي: ((يأتـي على الناس زمان الصابرـين على دينـه كالقابضـ على الجمر)).

وإن مما يعين المرء على هذه المشقة الشديدة والصبر العظيم هو عظم الأجر الذي يناله القابض على دينه المستعصي على مسايرة هؤلاء في باطلهم قال صلى الله عليه وسلم ((فإن من ورائكم أيام الصبر. الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله))، وزاد في غيره قال: "يا رسول الله أجر خمسين منهم؟" قال: ((أجر خمسين منكم)) كلامي الترمذى وابوداود وبن ماجه

منتدى المفكرين المسلمين

المصادر: